الأستاذ سالم محمد باجميل السياسي والاعلامي يتذكر لـ"الثورة" :

انتفاضة "الزحف المقدس" لإسقاط المجلس التشريـــ

■ "زنجبار أبين" و"حوطة لحج" و"شبام حضرموت" عاشت مدنية القرون الوسطى

الأستاذ الكبير سالم محمد باجميل..ليس بحاجة إلى مقدمة تقليدية للتعريف به، فلشخصيته جانبان في مسيرة حياته الطويلة والشاقة، أولهما مناضل فكراً وممارسة ؛منذ بدء انشغاله بالقضية الوطنية ؛عندما كان طالباً في عدن بعد منتصف الخمسينيات، ثم انخراطه المبكر في" تنظيم حركة القوميين العرب" في اليمن مطلع ستينيات القرن المنصرم ؛ليصبح عضواً في الجبهة القومية عند قيامها في تعز عام 1963م، وهو أيضا أحد الثوار الذين شاركوا في معارك تحرير جنوب الوطن اليمني من الاحتلال البريطاني وتعرض للاعتقال غير مرة .

والجانب الآخر لباجميل انصرافه إلى السياسة بعد الاستقلال (1967)، فقد عاش تفاصيل الخلافات داخل الجبهة القومية قبل وأثناء وبعد مؤتمرها الرابع في زنجبار، وتداعيات قراراته التي أدت إلى انقسام " التنظيم والسلطة" في عدن إلى تيارين أو جناحين سياسيين عرف إعلامياً بـ" اليمين" و"اليسار" ؛وهو ذات الصراع الذي قاد إلى ما وصف بـ"انتفاضة 14 مايو68" بقيادة "سالمين" وكان باجميل مشاركا فيها. والذي قال إن تلك الانتفاضة جاءت ردا على "انقلاب العقداء" الذي جرى في 20 مارس من نفس العام ضد نتائج مؤتمر زنجبار.

وبعد حركة 22 يونيو 1969 التي أطاحت بالرئيس قحطان محمد الشعبي ، لمع أسم سالم باجميل في المشهد السياسي والصحفي والنقابي، ولموقعه ذاك وجد نفسه وسط عواصف عاتية وصراعات خطيرة وتحولات عديدة ،غيرت مصير الوطن اليمني ؛ وكان الرجل شاهدا على تلك المرحلة "الثورية الديمقراطية" بكل تطوراتها وتفاعلاتها .. ايجابياتها وسلبياتها.. انتصاراتها وانكساراتها.

وهكذا نرى..إذا ذكرت مرحلة ما بعد الاستقلال ، وذكر فيصل عبد اللطيف الشعبي وسالم ربيع علي وعبد الفتاح إسماعيل وعلى ناصر محمد وعلي أحمد عنتر.. وسواهم من المناضلين والثوار؛ فلابد أن يذكر اسم سالم محمد باجميل ،الذي احتفظ بصلة وعلاقة طيبة مع الجميع كما قال لي، وإن كان أكثر قرباً إلى أستاذه "سالمين" .

واليوم..وفي العيد الذهبي لثورة 14 أكتوبر المجيدة ، وبعد كل هذه السنوات الطويلة، مازالت هناك الكثير من الأحداث المجهولة يستحق أن يروى ؛ ونحوها من تفاصيل أثير اللغط حولها وهي بحاجة إلى معرفة الحقيقة والكشف عن جوانبها.. ولأن الأستاذ باجميل لديه من الحقائق والأوراق ويعرف الكثير مما جرى..حاولنا الحصول منه على ما يسمح به حجم ومساحات الحوار القادم.

حوار /عبد الحليم سيف

اللقاء الأول

وليسمح لي القارئ أن أعود به إلى أجواء لقائي الأول بالأستاذ باجميل.. فقد كان الدخول في أعماقه صعبا بالنسبة لي؛ ففي نهاية شهر رمضان المبارك وبعد صلاة التراويح، ذهبت إليه في منزله في صنعاء.. وعرضت عليه فكرة الحوار، وضعت أمامه جهاز التسجيل ، وقلت له :"ما رأيك نبدأ الحور" قال :" لا.. ليس الليلة فدعنا نتحدث عما تريد" قلت:" لدى مائة سؤال وسؤال" ..قال:" لمن كل هذه ؟ "قلت : "إنها موجهة لك ..وهي بمناسبة العيد الـ51 لثورة 26 سبتمبر واليوبيل الذهبي لثورة 14 أكتوبر..." قاطعني وقال بنبرة مشحونة بالحزن والأسى : " معد شي ثورة ..ما الذي بقى من الثورة اليمنية ؟ ومن تضحيات الآباء والمناضلين الذين قدموا رؤوسهم قرابين في محراب الحرية والاستقلال والوحدة..ألا تسمع اليوم بعض الأصوات المتطفلة على الواقع وهي تدعو إلى الانفصال في الجنوب والشمال.. يبدو أن أصحاب هذه المشاريع العرجاء والمشبوهة لا تعرف تاريخ اليمن و لماذا قام الآباء بثورات وانتفاضات ..وليسوا على دراية بالمستقبل وماذا يريد الشعب...والمضحك تسمع اليوم البعض يوصف للثورة بدون مصادر رئيسية أو ثانوية ودون أن يعيش الحدث ..."، قلت :"يا أستاذ سالم من الطبيعي أن ترتفع تلك الأصوات وقد أصبحت نجوما على الفضائيات ومتصدرة للمشهد السياسي ..تنظر وتخطط وتدار بالريموت كنترول من غرف عمليات أصحاب المصالح.. لأن الأغلبية مازالت صائمة عن الكلام والذين يعرفون الحقائق غيبوا أو أنهم فضلوا الصمت ولا يريدون الحديث" .قال:" ليت الذي جرى ما جرى من صراعات وحروب على مدى نصف قرن وكأننا عدنا إلى نقطة الصفر" قلت: ألا توافقني يا أستاذ أن الذي حدث يعود إلى غياب الثقافة الوطنية وعدم الوعي بحقائق التاريخ ..اليوم دول الهيمنة تحكمنا بالعلم والتاريخ وخبرتنا يحكمون بالجهل والتفخيخ ..."هز رأسه بإيماءة وكأنه يوافق ما قلت..ثم عدت وقلت له:"ولهذا السبب جئت إليك لمعرفة شهادتك عما جرى..وطبعاً للتاريخ لا أكثر ".

وعلى هذا المنوال دار بيني وبينه حوار استمر قرابة ثلاث ساعات ولكن دون تسجيل .. قال لي :"خلاص ضع الأسئلة .." .قلت :"الحوار وجهاً لوجه أفضل ". قال :" وأنا أحب أن يكون كذلك ..." لينتهي اللقاء على أمل أن نتواصل بعد إجازة عيد الفطر.. فدارت الأيام ..واتصلت به فإذا هو يحدثني من عدن حيث يعمل رئيساً لتحرير صحيفة" 22مايو ".. اتفقنا على أن أبعث له بالأسئلة .. وهو سيرد ..وهذا ما كان ..لكني لم اكتف بهذه الطريقة فكنت أتواصل معه هاتفيا بشكل شبه يومي خاصة عندما يولد سؤالا بسؤال أو البحث عن تفاصيل لإجابة .. وكان آخر اتصال لي بالأستاذ باجميل يوم الأحد الماضي ..ومما قاله لي: شوف يا عبد الحليم أنا أجبت على خمسة في المائة مما أعرفه.. وطبعا نحن بشر منا من يصيب ومنا من يخطئ وقد يكون ذلك تحت وطأة ظروف سياسية قاهرة أو بسبب الأنانية أحياناً لكن لابد للإنسان أيا كان أن يقول الحقيقة التي يعرفها " .. وهكذا دار الحوار الذي لم يكتمل بعد وقد رأينا نشره على ثلاث حلقات.. وإليكم الأولى :

قاع "المساكين"

* أستاذ سالم با جميل..أسمح لي أن أبدأ معك حوار الذكريات بسؤال تقليدي..عن الميلاد.. الطفولة.. والمكان؟

* أنا من مواليد عام 1945م من قاع يعرف باسم "المساكين" تقع إلى جنوب مدينة زنجبار في أبين عاصمة " آل فضل" في ذلك الزمان ..عشت طفولتي وصباي في تلك البقعة الطيبة التي تعد إحدى جنان أبين الخضراء..وهكذا ترى أنني قد نشأت وترعرعت في بيئة زراعية فلا عتب عليَّ إذا ما أحببت الزرع والأشجار والإبل والأغنام والأبقار والخيول والحمير، وازعم أنني عشت بالأفراح والأتراح.. وزنجبار التي رأيتها في طفولتي كانت عبارة عن شارعين ترابيين يحتل المركز الرئيسي منها في منطقة الوسط "بيت الله" وتقع الشرطة في الجنوب وسكرتارية "السلطنة الفضلية " في الشمال ومعظم المنازل والمتاجر مكونة من فروع الأشجار وأغصانها والطين.. والناس هنا على قلة دخولهم كانوا يعيشون في محبة ووئام ويتميزون بنظافة الظاهر والباطن، وذلك على اختلاف أشكالهم وألوانهم برغم أنهم جاؤوا إليها من سائر مدن وقرى الوطن اليمني.

* علاقتك مع تعلم الحرف متى..وأين بدأت ؟

* كنت صغيرا عندما أخذني والدي -رحمة الله عليه- إلى إحدى كتاتيب القرية.. وبدأت أتعلم القراءة والكتابة ولم ابلغ الـ 12 من عمري إلاَّ و قد حفظت القرآن ولكن من دون فهم لمعانيه أو معرفة لدلالاته .. ثم ذهبت للدراسة في المدارس الحكومية في مدينة زنجبار.

دلتا أبين

* كيف تصف ملامح الحياة في أبين أيام الطفولة.. وما الصور التي ما تزال عالقة في ذاكرتك؟.

* أبين أيام زمان كانت مخلاف من مخاليف الزراعة..تربتها خصبة جدا ووافرة الخيرات اشتهرت بزراعة الحبوب والقطن والخضروات والفواكه.. فما أكثر الصور التي لا تزال عالقة في ذاكرتي عن أبين.. وهل للمرء أن ينسى أنظر وأحلى سني عمره.. طفولته وصباه..ولهذا تجدني كثيرا ما اردد قول الشاعر الكبير المرحوم أبو بكر بن محمد العندي وهو يشدو بقوله:

ليت ساري المزن من واحدى مني
بان عن عيني فيسقى أبينا
واستهلت با لرقيطا ادمع
منه تستضحك تلك الدمنا

وتراءت لشاعرنا صوراً من صباه في أبين وهو بالحجاز ..ومما قاله:

وطن اللهو الذي حر الصبا
فيه أذيال الهوى مستوطنا
تلك أرض لم أزل صباً بها
هائماً في حبها مرتهنا

ومن شعراء أبين المجيدين : السلطان عبد القادر وتابعه أحمد أمبارك والقائد حويدري وعوض عنقوش ومحمد حبيب وأحمد «الصوملي» باجميل والسيد سالم «أبو جنية» والسلطان عبدالله عثمان وغيرهم كثر..ومن الصور التي ما تزال عالقة في ذاكرتي وليس بمقدوري أن انساها ليالي أسمار زنجبار المتنوعة ابتداءً "بالساحلي" ومروراً "بالدحيف "و "الهبيش" وانتهاءً "باللوعة "التي كانت تقام في الأعياد وأفراح الأعراس وأيام الحصاد وجني القطن.. إن مدينتي زنجبار وخنفر تحتلان قلب دلتا أبين ومنها تنبعث أفراح وأتراح أهلها.

● فيصل الشعبي مع عبدالناصر

"بحثت عن أنصار "عبدالناصر" في اليمن فقادني "الخامري" إلى مخبأ "فيصل" في "الهاشمي"

مشاعر فياضة في شوارع عدن يوم استقبال ثورة 26 سبتمبر..

إلى عدن

* وفي أي ظرف تركت زنجبار إلى عدن؟

* كانت عدن هي المحطة الثانية في حياتي وبامتياز..حدث ذلك في منتصف الخمسينيات تقريبا. حينذاك تعد عدن نافذة اليمن على العالم أجمع شرقه وغربه شماله وجنوبه لما بها من أسباب التمدن الحضاري والثقافي والاقتصادي.. وشخصيا اعتبر زنجبار والحوطة ضاحيتي مدينة عدن وشريانين مهمين من شرايين حياتها في كل الأوقات ..وذهابي إلى عدن كان بهدف مواصلة الدراسة بعد أن أكملت تعليمي الابتدائي والمتوسط في زنجبار .

* ما طبيعة التعليم في عدن في تلك المرحلة ؟

* التعليم في عدن وقتذاك انحصر في نمطين تقليديين عصري ومقيد .. النمط الأول يتمثل في الكتاتيب والمساجد وزوايا أهل التصوف بلا حدود إلاَّ أن هذا النوع من التعليم كان في معظمه مقتصراً على حفظ القرآن الكريم.. أما النمط الثاني فهو ما يقدم للتلاميذ والطلاب في المدارس الحكومية والأهلية ذات الطابع المعاصر وهو محدود ومقيد في أعداد منتسبيه لحاجة الإدارة البريطانية لإشغال بعض الوظائف من الدرجة الثالثة والرابعة.

* ماذا درست ؟ ومن أبرز زملائك ؟.

* رشحت للانتساب إلى معهد المعلمين في مدينة عدن وكان معي من (زنجبار) محمد بن محمد بانافع وآخرين..ومن(عدن) جميل غانم وآخرين ..ومن (الحوطة) محمد حسن عقربي وغيره .. ومن(بيرأحمد) عبدالله علان وآخرين.. ومن(خنفر) عبدالله ناصر وآخرين.. ومن (العوالق) عبدالله أحمد الشهير بالضمة وآخرين.. ومن (دثينة) العرجي وغيره من زملاء أعزاء لا تحضرني أسماؤهم واطلب منهم ومن أبنائهم المعذرة.

* ومن أساتذتك ؟

* أهم أساتذتي في معهد المعلمين كان الأستاذ زين الحازمي والأستاذ لطفي جعفر أمان والأستاذ أحمد حيدر وهناك أساتذة آخرون من السودان الشقيق ..وفي تلك المرحلة كان مدير المعهد انجليزياً يدعى المستر «جرنفيل».. وتخرجنا بشهادة الإجازة العامة في التربية وطرق التدريس وعلم النفس.

مركز إشعاع

* لو عدنا قليلاً إلى الماضي أو التاريخ ..نجد عدن منذ عشرينيات القرن العشرين وقد بدأت تتحول لتكون فيما بعد مركز إشعاع في الجزيرة العربية.. وقبلة لأبناء اليمن من الجنوب والشمال..هلا حدثتنا عن حياة المدينة والناس والسياسة والصحافة والسينما التي لا يعرفها كثيرون من جيل اليوم؟.

* عدن في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين كانت مجرد ميناء «ترانزيت» لبضائع اليمن والجزيرة العربية وشرق أفريقيا، ونقطة تموين البواخر التجارية بين بريطانيا ومستعمراتها في المنطقة والهند درة التاج البريطاني آنذاك..وكانت عدن فعلا مركز إشعاع تجاري واجتماعي في ذلك الوقت تتهيأ للإقدام لأخذ دورها المرموق في المنطقة ولم ترق إلى ذلك الدور المطلوب إلاَّ في أواخر الثلاثينيات من القرن المذكور. تواجدت فيها حياة بحد أدنى من الحرية والمدنية في نهاية الحرب العالمية الثانية حيث عرفت عدن وأهلها السينما والصحافة والنقابات والأحزاب السياسية ..وهذه المظاهر العصرية شكلت عاملاً من عوامل انتشار الوعي الوطني والقومي فيما بعد في اليمن بخاصة وجزيرة العرب بعامة.

الصحافة والسياسة

* وما تأثير تلك الحياة على تكوينك ونشأتك وكغيرك من أبناء جيلك؟.

* طبعاً عدن لها الفضل الأول للكثير من أبناء اليمن من جيل الأربعينيات والخمسينيات وما بعد هذه السنوات ..لأنها أي عدن فتحت عقول الشباب والمثقفين على أمور وأشياء حديثة لا يعرفها اليمنيون في المحميات أو في الشمال.. وفي تلك الأيام الباكرة من عمري عشقت الصحافة وجذبتني السياسة.. ومع مطلع الستينيات كنت من المتحدثين في المنتديات والجمعيات الأدبية.. وفي صحيفة «فتاة الجزيرة» لمؤسسها ورئيس تحريرها الأستاذ المرحوم محمد علي لقمان المحامي.. وفي صحيفة «الأيام» لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ المرحوم محمد علي باشراحيل ..بدأت اكتب مقالات وتعليقات في السياسة ولكن تحت أسماء مستعارة منها "فيصل" الذي أصبح أسمي الحركي أيام الكفاح المسلح ..ولا أنسى هنا أن أشير إلى أنني كنت شديد الإعجاب بالصحفي الكبير صالح عبدالله الدحان رحمة الله عليه .

القرون الوسطى

* طيب أستاذ سالم باجميل ..قلت إن الحياة في عدن زمن الاستعمار كانت على قدر من العصرية.. فهل لك أن تعطي جيل اليوم صورة مكثفة عن أوضاع ما كان يسمى بالمحميات الشرقية والغربية؟.

* نعم الحياة في عدن تختلف عما هو سائد في عموم ما كان يسمى بالمحميات ومنها "سلطنة الفضلي"..ففي عدن قدر لا بأس به من العصرية يتمحور حول الحريات الشخصية والعامة وكان يوجد في عدن تطبيق ملموس لفكرة أنت حر ما لم تضر السياسة البريطانية.. وفيها مهن جديدة وكانت تستهويني ملابس الطيران المدني وملابس عمال الميناء والمرشدين.. ويكفي أن يعرف جيل اليوم أن عدن انفردت عن غيرها من مدن اليمن بالتنوع الثقافي والسكاني من مختلف الجنسيات واللغات وكان حق العيش والمواطنة مكفولين لمن لا يسيئ إلى قوانين الحكومة.. وكان الجنس والدين لا يشكلان متاعب لأهلهما..أما الحياة في سائر المحميات الغربية والشرقية كانت متروكة هائمة على وجوهها في شعاب التخلف الفظيع باستثناء زنجبار أبين.. وحوطة لحج.. ومدينة المكلا وشبام وبعض مدن الوادي بحضرموت كان فيها قدر من تمدن القرون الوسطى إن جاز لي التعبير وذلك طبعاً بالنسبة لما حولها من البداوة المتوحشة والمتخلفة.

* ما أشرت إليه في سياق حديثك يقودنا للسؤال عن العلاقة القائمة وقتذاك بين السلطنات والإمارات والمشيخات..فما حالها ؟.

* في واقع الأمر كانت تتواجد على مساحة جنوب الوطن اليمني إبان وجود الاستعمار البريطاني قرابة خمسة وعشرين وحدة إدارية تتكون من سلطنات وإمارات ومشيخات.. عاشت كل وحدة إدارية مغلقة في وجوه غير أهلها من أهل المنطقة إلى أن حان قيام اتحاد الجنوب العربي في أواخر النصف الثاني من عقد خمسينيات القرن العشرين.. في ذلك الحين سمح للمواطنين بالتنقل شبه الآمن وألغيت الجمارك في مطلع عام 1960م..وهكذا احتفظ كل من المتحدين بموروثه من التخلف في ظل الاتحاد إلى يوم الاستقلال الوطني في الثلاثين من نوفمبر 1967م.

* ما هدف الاستعمار البريطاني من جعل تلك المحميات أسيرة للتخلف والفرقة والجهل؟.

* في تقديري أن الهدف المباشر لجعل المحميات تبقى طوال عهد الاستعمار البريطاني أسيرة التخلف والفرقة والجهل والعزلة هو أن يتمكن من تطبيق سياسة «فرق تسد» من جهة بحيث تبدو مستعمرة عدن في عيون الناس مثالاً طيباً لوجوده من جهة ثانية..ولكي يكون هناك توازن بين وضع الشعب اليمني في الشمال والجنوب تقتضيه ضرورات البقاء والهيمنة في الحكم للاستعمار البريطاني والإمامة معا..ولنا في المثل اليمني القائل: «الأعمى تسهل سرقته» خير دليل إذا أردنا أن نعرف عن كثب لماذا ترك الشعب اليمني بأغلبيته في ظلمات الجهل والتخلف والمرض.

وحدوية المؤسسين

* دعني أعود بالحديث معك إلى عدن النقابات والأحزاب السياسية..يقول الأستاذ المرحوم عمر الجاوي في مقالة له منشورة في مجلة الثقافة الجديدة الصادرة في ديسمبر 1989م.. أن «الأحزاب والنقابات في عدن تأسست بمنظور وطني وحدوي بغض النظر عن جنوبية هذا أو شمالية ذاك»..ما دلالة هذه المقولة برأيك في ضوء ما نسمعه اليوم؟.

* رحم الله الأستاذ عمر الجاوي ..من يريد أن يعرف دلالات استنتاجه الوطني عليه أن ينظر في تركيب قيادات وقواعد التشكيلات النقابية والحزبية حتى تتجلى في وعيه حقائق ودلالات ما ذهب إليه المرحوم الأستاذ عمر الجاوي حيث أن تشكيلات قيادات وقواعد النقابات والأحزاب كانت تتكون من أبناء مدن وقرى اليمن ولا يستطيع أحد أن يقول عكس ذلك..باختصار شديد إن في قول القائل: إن الأحزاب والنقابات في عدن تأسست بمنظور وطني يمني وحدوي بغض النظر عن جنوبية هذا أو شمالية ذاك يحمل دلالات دامغة على وطنية ووحدوية الجيل المؤسس ومدى اعتزازه باليمن..يمن التاريخ والحضارة والثقافة.. يمن الأرض والإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* وكيف نفهم ظهور النقابات في عدن قبل الأحزاب؟.

* النقابات ظاهرة من ظواهر النظام الرأسمالي تهدف إلى تنظيم العلاقة بين العمال وأرباب الأعمال أفراداً وشركات..ولما كانت عدن ثغر اليمن في ذلك العهد تمثل مركزا جديدا للرأسمال العالمي تواجد فيها مع الأيام شيئاً فشيئاً فروع وكالات لشركات أجنبية ووطنية لمزاولة تجارة الترانزيت وتقديم الخدمات وكان لابد أن يسبق تشكيل النقابات قيام الأحزاب..أما الأحزاب فهدفها